

بقلم الدكتور :
محمد بن سعد الشويخ

ابن خنويان وآثاره

١٢٧٥ - ١٢٥٢ هـ

١٨٥٨ - ١٩٣٤ هـ

علم من أعلام نجد ، لم يحفل بدراسة كاملة لحياته ، ولم يقدر لجهوداته العلمية أن تظهر في المكتبة العربية ، اللهم إلا كتابه : منار السبيل في شرح الدليل ، وهو كتاب فقهي على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، وقد طبعته الحكومة القطرية على نفقة الشيخ قاسم بن دويرش فخر والذي أوقفه على طلبية العلم ، ثم طبع مرتين غير هذه الطبعة .

يعتبر الشيخ حمد الجاسر أول من تحدث عن ابن خنويان ، وألقى ضوءاً كاشفاً على حياته ، وعلى تاريخه في مجلة الجامعة

مصادر ترجمته :

١ - لقد ترجم للشيخ ابراهيم الضويان كل من الشيخين :

أ - فضيلة الشيخ عبد العزيز الناصر الرشيد ، وهو من بلدة والعارفين جوانب مهمة في حياته الخاصة والعامة .

ب - فضيلة الشيخ محمد بن عبد العزيز المانع رحمه الله وقد كان والده ممن استفاد منه ابن الضويان في دراسته العلمية .

٢ - كما ألم بجانب من حياته علامة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر في :

أ - مجلة اليمامة التي تصدر بالرياض العدد ٢٦٩ في ٢٣/١٠/١٣٨٠ هـ ، ص ٩ ، تحت عنوان : كتب أهديت اليها : منار السبيل .

ب - مجلة العرب ، ج ١٠ ، مجلد ٥ ، ص ٨٩٣ ، ضمن موضوع : مؤرخو نجد من أهلها .

ج - مجلة العرب ج ٥ ، ٦ السنة ١٢ ص ٤١٨ عند حديثه عن قبيلة بني صخر التي ترجع الى طيء ، وأرجع نسب أسرة آل ضويان الى هذه القبيلة .

٣ - كما ترجم له الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف في كتابه مشاهير علماء نجد وغيرهم ص ٢٢٢ .

٤ - وترجم له الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن البسام في الجزء الاول من كتابه علماء نجد خلال ستة قرون [١ : ١٤١ - ١٤٤] ، وقد أضاف على حياته في هذه الترجمة جوانب مهمة لم يتعرض لها أحد قبله .

٥ - وأعطى معلومات عنه ونبذة من مؤلفاته الأستاذ عمر عبد الجبار في كتابه : سير وتراجم بعض علمائنا في القرن الرابع عشر للهجرة . حياتهم ونماذج من تدريسهم في المسجد الحرام ص ٢٥ رغم أنه لم يقل أحد عن الشيخ ابراهيم بأنه درس في المسجد الحرام .

نسبه وأخلاقه :

هو الشيخ ابراهيم بن محمد بن سالم بن ضويان ، ينتهي نسبه الى قبيلة آل زهير ، المنتسبة الى قبيلة بني صخر التي وصفها الشيخ عبد العزيز بن ناصر الرشيد

بالشهرة [منار السبيل ج ١ ص ٤ المقدمة] ولكن عبد الرحمن بن عبد اللطيف يشير
إلى السؤال عما إذا كانت عدنانية أو قحطانية ، لأنه يتسمى ببني صخر عدة قبائل [من
مشاهير علماء نجد ص ٢٢٢ العاشية] .

لكن الشيخ عبد الله البسام يعيد ببني صخر إلى جذام اعتمادا على قول
الحمداني - فيما يبدو - عندما قال في ترجمة حياته : « من آل زهير ، وهم بطن كبير
من قبيلة بني صخر ، وهي قبيلة من شعب جذام ابن عمرو بن مالك ، بن عدي ، بن
العاص ، بن مرة ، بن أدريس ، بن زيد ، بن كهلان ، بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن
قحطان [علماء نجد - ١ : ١٤١] » .

لكن الشيخ حمد الجاسر كعادته في بحثه المستقصي أزال لبسا قائما عندما أوضح
أن قبيلة الزهير ترجع إلى طيء ، وأوضح منازلها والبيوتات التي تنتمي إليها في
نجد ، ومنها أسرة ابن خويان ، وأبان خطأ من قال : بأن بني صخر ينتسبون إلى
جذام ، إذ رد هذا إلى ما وقع فيه الحمداني ، ثم نقله عنه فيما بعد كل من ابن
فضل الله العمري في مسالك الأبحار والفلقندي (٧٥٦ - ٨٢١ هـ) في نهاية
الأرب ، والسويدي (٠٠٠ - ١٢٤٦ هـ) في سبائك الذهب . [العرب ج ٥ ، ٦ السنة
١٢ ص ٤١٥ - ٤١٨] .

ولد المترجم له في مدينة الرس بالقصيم عام ١٢٧٥ هـ - ١٨٥٨ م ، ولها نشأ
وتعلم ، ولم يعرف عنه السفر لطلب العلم إلا لادن القصيم المجاورة لمقر إقامته .
فقد كان كثير التردد على عترة التي تزخر بالطعام في عهد ، كما طلب العلم فترة
من الزمن في بريدة .

ولم يعرف من أسرته من كان طالب علم ، بل كان والده أميا لا يجيد القراءة
والكتابة . يعمل مؤذنا بأحد مساجد الرس . لكن الشيخ عبد الله البسام ينسب ما
جاء في صحيفة ٣٠٨ من شرح ابن خويان على الدليل : « وكذا الميتة حتى الجلد ولو
قلنا بظهارته في الديباغ ، أفاده والذي أمتع الله به أمين » من باب التوقع إلى ابن
الشيخ الضويان عبد الله الذي عرف بأنه طالب علم جيد [علماء نجد ١ : ١٤١] .

كان عالما فقيها ، كما يبين ذلك من مؤلفاته ، ومن العارفين لمكانته . المدرسين
منزلة ، بل كان من كبار علماء القصيم ، كما كان مرجعا للفتوى في بلدته لجميع
الطبقات ، لما يمتاز به من دعة خلق ، وسهولة جانب ، وتواضع جم ، خصال هي
أخلاق العلماء العاملين ، وسجايا الفاهمين المدرسين لمنزلة العلم ومستورته ، وأمانة
حملة ، أمام الله ، وتادية واجبه لعباد الله ، ذلك أن حامل العلم يجب أن يبذله

ليرشد الناس ويبين لهم ما علمه الله ليخرج نفسه من مسئوليات كتمانها ، والوحيد الشديد في ذلك « من كنتم علما ألجسه الله بلباس من نار يوم القيامة » [جامع الأصول ١٠ : ٩] .

فكان ابن ضويان ممن يبدل نفسه وعلمه وجهده للآخرين ، يفتي عندما يسأل ، ويقتضي بين الناس في غياب قاضي الرس أستاذ الشيخ صالح بن فرناس ، ويكتب الوثائق الشرعية في بلد ، ولا يطلب على هذه الأعمال أجرا إلا من الله . أما مستوى معيشته فكان من متوسطي الحال ومورده المالي من البيع والشراء .

— وكان حافظا للشعر العربي ، حلاوة على أجادته له ، وله فيه باع طويل .

— كما كان عالما بالأنساب والف في ذلك كتابا ، أصبح في حكم المفقود .

— وله الملم بالتاريخ كما سنشير الى ذلك في استعراض محاولته التاريخية .

— كما أن له خبرة واسعة في طبقات الرجال من الحنابلة ، وقد ضمن هذا كتابه المخطوط رفع النقاب عن تراجم الأصحاب .

— وإلى جانب ذلك كان له شهرة بجودة الخط وحسنه والسرعة في الكتابة ،

حتى أنه كان ينسخ الكتب بحضور الآخرين ، وهم يتحدثون لا يشغلهم عن ذلك شغل .

— وقد وصفه ناسخ كتابه : رفع النقاب عن تراجم الأصحاب عندما قال في الطرة بأنه : اللوذعي العلامة في الفقه والتاريخ والنحو واللفظ ، إلا أن الشيخ عبدالله بن بسام ينقل عن تلميذه الشيخ محمد بن عبد الميزيز الرشيد قوله : « أن شيعي أبرهيم الضويان من الفقهاء الكبار ، وله اطلاع واسع في الفقه ، أما باقي العلوم لا سيما علوم العربية فله مشاركة فيها ، ولكنها ليست جيدة » [علماء نجد ١ : ١٤١] .

أما بعدد من القضاء مع سعة علمه ، وورعه وعفته ، ودماثة أخلاقه ، مع أن شيعه صالح بن فرناس يتيه على قضاء الرس عندما يتخيب فقد علمه الشيخ عبدالله بن بسام بأنه لم يكن مواليا لآل سليم أشهر علماء القصيم في ذلك الوقت ، وهم أهل المشورة في مثل هذه المناصب في القصيم [علماء نجد ١ : ١٤٢] .

المعلم وبصحبته شقيقه محمد بن عبد الميز بن رشيد مع مجموعة من بيتهم عبدالله بن ابراهيم بن ضويان الذي كان معه مخطوطة كتاب والده في الأنساب ، وعندما سئل عن سبب أخذه إياه معه للرياض أفاد بأن الملك عبد الميز قد طلبها ، وقد سلمها فعلا لمن أوصلها لجلالته ، وقد أشار الشيخ حمد الجاسر بأن رشدي ملحق أخذه هذه النسخة [العرب ج ١ ص ٥ من ٨٩٣] .

ولقد كان من العادات في نجد أن العالم إذا توفي تيمت كتبه للرياض لوجود العلماء ، وطلاب العلم ، ومبعث هذا رغبته في تمام الفائدة ، وطلب المثوبة من الله أخذاً بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أن الميت إذا مات انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له » .
ومؤلفات الشيخ ابن ضويان التي وصل إلينا عندها هي :

١ - منار السبيل في شرح الدليل : يقع في جزأين طبع عام ١٩٧٨ هـ على نفقة الشيخ قاسم بن درويش فغزو ، وقد أوقفه لله على طلبة العلم ، وهو كتاب فقهي على مذهب الإمام أحمد بن حنبل .

٢ - نسب اليه عمر عبد الجبار : حاشية على شرح الزاد ، وأشار إلى أن هذه لا تزال مخطوطة ، ويخط المؤلف ، وقد أشار إليها الشيخ عبدالله اليبسما بأجمال ، كما أشار أيضا إلى أنه أجاب على أسئلة عديدة بأجوبة محررة سديدة [علماء نجد ١ : ١٤٤] .

٣ - آثاره التاريخية وتتمثل في :

أ - رسالة في أنساب أهل نجد .

ب - رسالة مختصرة في التاريخ .

ج - التراجم .. وهذه التراجم ذات شقين :

تراجم طبقات الحنايلة .. وقد صنف فيها كتابا هو : رفع النقاب عن تراجم الأصحاب لا يزال مخطوطا .. قال حمد الجاسر ، وعمر عبد الجبار بأن اسمه : « كشف النقاب في تراجم الأصحاب » ويبدو أنهما وافقا للشيخ عبد الميز الرشيد عندما ترجم له في مقدمة منار السبيل ، وقد تحصلت على صورة من هذه المخطوطة التي جاء في طرتها الاسم كما أوردته « رفع النقاب عن تراجم الأصحاب » .

والشق الثاني : تراجم قصار لعلماء القيصيم .. ذكر هذا الشيخ عبدالله بن بسام وقال بأنه رأى كراسة تعلم عنه الشيخ سليمان العالحي البسام فيها تراجم قصار لعلماء القيصيم ، وأن عنه ذكر أنها من إملاء الشيخ إبراهيم بن ضويان [علماء نجد ١ : ١٤٤] .

ويبدو أن الشق الثاني بداية لعمل لم يستكمله المؤلف .. أو أنها قد تكون مقتطفات من الجزء الثاني لكتابه : رفع النقاب ، الذي تفقده المكتبة العربية والحلية .. ولم نجد من يدل عليه .

وسمطي القارئ معلومات عن رسالته التاريخية .. ورفع النقاب لوجودها بين يدينا .

أولاً : تاريخه : ليس تاريخاً بمفهومه الصحيح ، ولكنه في نظري محاولة تاريخية لم تستكمل ، وجهد لم يقدر له أن يتطور .. لا بل هو نصف تاريخية استقي أغلبها من تاريخ ابن بشر (١٢١٠ - ١٢٩٠ هـ) المسمى عنوانه المجد في تاريخ نجد .

ورسالة ابن ضويان التاريخية هذه التي عثرت على نسخة منها قد كتبت حديثاً عن نسخة خطية بخط المؤلف نفسه قبل أن يفقد بصره .

وتقع هذه الكراسة في عشرين صفحة ، كتبت في ٤ صفر عام ١٣٧٨ هـ بخط الأستاذ الأديب منصور الرشيد .

وقد ألمق ابن ضويان بها خمس صفحات في أنساب بعض الأسر بالرس بلده . وتعليقات في تسميات بعض المدن مثل عنيزة ، والرس ، والنباخ ، يستقي ذلك من أمهات الكتب العربية .

وقد ابتداء ابن ضويان (١٢٧٥ - ١٣٥٣ هـ) مذكراته التاريخية في هذه الرسالة [وهذا ما أريد تسميتها به ، إذ هي لم تأخذ المفهوم التاريخي في نظري] عام ٨٥٠ هـ .

ومما يؤكد بأن هذه المذكرات تقاطع تاريخية ، وليست تاريخاً بمفهومها العام ، أن الأحداث فيها غير متسلسلة ، وأن المعلومات التي دونت قد وضعت على هيئة معلومات مجمعة ، وعناصر تاريخية لا يربطها الأسلوب العلمي بمفهومه العام ، ذلك

أن كل حالة قد أعطيت رقما تملسها . وسجل تحت الأحداث مقتضبة كمن هيا ليمود إليها في كتابة مفصلة بعد استكمال الجواب الناقصة .

ولعل أولى نقطة من عناصره البالغة ١٢٠ هـ هي الأولى التي ذكر فيها أحداث عام ٨٥٠ هـ إذ يقول : ١ - سنة ٨٥٠ هـ اشترى حسن بن طوق جد آل معمر المينية من آل يزيد الحنفيين الذين من ذريتهم آل ديفير اليوم ، وكان يسكن حسن منهم ، فانتقل منها إليها ، واستوطنها ، وعمرها وتداولها ذريته من بعده .

وفيها قدم ربيعة بن مائع من بلدهم القديمة المسماة بالدرعية عند القطيف . قدم ليها على ابن درع صاحب حجر والجزعة . المروفة قرب الرياض . وكان من مشيرته . فأعطاه ابن درع الملبيد ، ونصيبة قرب الدرعية فنزل ذلك ، وعصره

وكانت أول نقطة من عناصره البالغة ١٢٠ هـ هي الأولى التي ذكر فيها أحداث عام ٨٥٠ هـ إذ يقول : ١ - سنة ٨٥٠ هـ اشترى حسن بن طوق جد آل معمر المينية من آل يزيد الحنفيين الذين من ذريتهم آل ديفير اليوم ، وكان يسكن حسن منهم ، فانتقل منها إليها ، واستوطنها ، وعمرها وتداولها ذريته من بعده . وفيها قدم ربيعة بن مائع من بلدهم القديمة المسماة بالدرعية عند القطيف . قدم ليها على ابن درع صاحب حجر والجزعة . المروفة قرب الرياض . وكان من مشيرته . فأعطاه ابن درع الملبيد ، ونصيبة قرب الدرعية فنزل ذلك ، وعصره

وكانت أول نقطة من عناصره البالغة ١٢٠ هـ هي الأولى التي ذكر فيها أحداث عام ٨٥٠ هـ إذ يقول : ١ - سنة ٨٥٠ هـ اشترى حسن بن طوق جد آل معمر المينية من آل يزيد الحنفيين الذين من ذريتهم آل ديفير اليوم ، وكان يسكن حسن منهم ، فانتقل منها إليها ، واستوطنها ، وعمرها وتداولها ذريته من بعده . وفيها قدم ربيعة بن مائع من بلدهم القديمة المسماة بالدرعية عند القطيف . قدم ليها على ابن درع صاحب حجر والجزعة . المروفة قرب الرياض . وكان من مشيرته . فأعطاه ابن درع الملبيد ، ونصيبة قرب الدرعية فنزل ذلك ، وعصره

وخرسه هو ويتوء • ويمده ابنه ابراهيم ، وكان لايراهيم أولاد منهم عبد الرحمن الذي استوطن بلد خرماء ، ومنهم عبدالله ومنهم سيم الذي من ذريته ابن يحيى من بلدة أبها الكباش ، ومنهم مرخان ، وولد لمرخان مقرر وربيعة ، أما مقرر فمن ذريته آل مقرر ، وخلف أولاداً منهم محمد وعبدالله وعياف ، ومرخان •

أما محمد فغلف : سعود ومقرر • • أما سعود فغلف محمد وقساري وشليان وفرحان أما محمد فغلف فيصل وسعود • • ومنهم عبد العزيز وولد له سعود بن عبد العزيز ، وابنه عبدالله ولد له تركي بن عبدالله وغيره ، وولد لتركبي آل سعود اليوم ، [ص ٩] •

فالقاري يرى أن بعض هذه المعلومات مستقاة من سوابق ابن بشر [عنوان المجلد ٢ - ٣٨٧ السوابق] ، إلا هذا الأخير لديه اقتصاب في سرده للمعلومات ، فابن بشر أوفى منه ، كما أن في أسلوبه سهولة في التعبير والصورا في التشكيل البصري كما يلاحظ ذلك القاري • وفي ص ٣ يقول : • ٩ • - سنة ٩٨٦ هـ سار الشريف حسن بن أبي ثمن من مكة إلى نجد نحو خمسين ألف وحاصر مكالم من بلد الرياض ، وقتل رجالاً وأسر آخرين ، فحبسهم سنة ثم أطلقهم على أن يعطوه كل سنة سائرهم ثم سار • •

— ١١ • - سنة ٩٨٩ هـ فتح البديع والسلمية والخرج واليمامة وغيرها • •

— ١٢ • - سنة ١٠٠٠ من الهجرة تقريباً استلوا الروم على الأحساء وتوابعها ورتبوا الجند ، ومكث فيه الروم ثمانين سنة حتى استنقده منهم ابن هريهر من بني خالد في الأحساء ، وتوابعها • •

وهذه المعلومات أوردها ابن بشر (١٢١٠ - ١٢٩٠ هـ) مع اختلاف في الصياغة اللفظية ، فمضى سوابقه ومثلاً من المصافي في تاريخه [عنوان المجلد ٢ - ٣٩٢] •

كما ينقل من سوابقه وتاريخه معلومات مقتضبة كقولہ •

— ١٩ • - سنة ١٠٧٩ هـ توفي الشيخ سليمان بن علي الشتراني ببلد العمينة ، وفيها قتل ربهان أمير الروضة ، الشاعر المعروف من آل أبي سعيد • •

— ٢٢ • - سنة ١١١٥ هـ ولد الشيخ محمد بن عبد الوهاب في بلد العمينة • •

— ٣٠ — سنة ١١٥٨ هـ انتقل الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله من بلد الغيبة إلى الدرعية .

— ٣١ — سنة ١١٧٩ هـ توفي محمد بن سعود رحمه الله تعالى .

— ٥٢ — سنة ١٢٠٦ هـ توفي الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

— ٥٤ — سنة ١٢٠٨ هـ استولى سعود على الأحساء . وانقرضت معه دولة آل حميد ، وفيها توفي سليمان بن عبد الوهاب أمير الشيخ محمد .

— ٦٨ — سنة ١٢٢٩ هـ توفي سعود بن عبد العزيز في جنادي ، وكسفت الشمس في رجب كسوفاً قوياً .

— ويذكر في ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، أحداث السنوات على التوالي ١٢٢٠ هـ ، ١٢٢١ هـ ، ١٢٢٢ هـ ، فيها من أحداث ٠٠ وحملات إبراهيم باشا على نجد ٠٠

— وفي ٧٢ التي جعلها لأحداث عام ١٢٢٤ هـ يحدد شهر شعبان من هذه السنة لهدم الدرعية وقطع نعلها ، وتفرق أهلها .

ومن هذه النماذج التي أعطت فكرة من سهج ابن صويان في عرض المعلومات ٠٠ يتضح أن ما دونه في رسالته ما هو لا حاصر تاريخية يريد استكمالها ، وقد استقى بعضها من المراجع التاريخية في عصره وأبرزها تاريخ ابن بشر . صواب المجد في تاريخ نجد . وجمع الباقي من الأحداث الحبيطة به . وما هو سائده في مجتمعه ، ولكن فقدان البصر حال دونه وما يريد . فحققت هذه المقطعات التاريخية دون أن تستكمل ، ودون أن تتبلور في مؤلف تاريخي .

ذلك أنما نرى في من ١٥ بعد استمراره باحتصار كماداته أحداث عام ١٢٣٧ هـ . جاءت العبارة الثانية : أمر انتقل من تاريخ ابن بشر .

وبعد ما استكمل في أرقامه التسلسلية من رقم ٧٦ : استمرار الأحداث مستمراً بهام ١٢٤١ هـ ٠٠

وكانت عادته أن يجعل أحداث كل سنة في رقم تسلسلي .

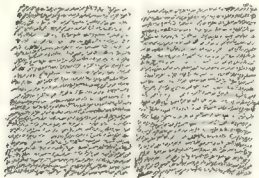
ومن المعروف أن ابن بشر لم يه تاريخه بأحداث عام ١٢٣٧ هـ كما أشار

ابن ضويان في توقعه من النقل منه . بل سجل في كتابه صواب المجد الأحداث حتى عام ١٢٦٧ هـ . حيث ختم الجزء الثاني بذلك .

أما ابن ضويان فقد ختم حدوته التاريخية هذه بالرقم التسلسلي « ١٢٠ » وتمثل أحداث عام ١٢١٩ هـ حيث ذكر ما وقع فيها باختصار شديد لا يروي خلا الباحث ، ولا تلوه من يريد الاستزادة فهو يقول : « وفي ثوال سطا عبد العزيز بن عبد الرحمن الميصل في الرياض . وقتل عجلان . واستولى على البلدة وحصنها ثم صار ما صار » . إلى القسامة وقتل عبد العزيز بن رشيد والله أعلم » (ص ٢٠) .

ومع هذا فإن ضويان لم يختلف في أسلوبه وطريقته في سرد المعلومات بشكلها العام من منهج من سبق من مؤرخي نجد . ولم يجسد في طريقة هذا السرد ، أو اختصار المعلومات .

فالغاريه عندما يقتبص تاريخ ابن بشر صواب المجد ، وتاريخ المقور (١٠٦٧ - ١١٢٥ هـ) فإنه لا يجد فارقا كبيرا في طريقة عرض المعلومات ، أو المنهج العام مما سلكه ابن ضويان ، إلا أن أس سر لديه من المعلومات والمادة العلمية أكثر مما لدى ابن مقور ثم ابن ضويان .



الطبعة ٧٤ من مطبوعة دفع النشاب عن تراجم الأصحاب وبها ترجمة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وهي آخر التراجم

ومع أن ابن خويان لم يهتم بالترتيب الزمني للأحداث ، إذ كثرت عنه التواريخ فقد كان ابن خويان يهدف الى تدارك هذه الناحية ، وبدأ مدونه التاريخية بتسلسل يمثل الأحداث ، وأعطى لها أرقاماً متتالية ، ثم رتب الأحداث التاريخية حسب الترتيب الزمني ، فلم يقدم أحداث سنة على سنة .

ولكنما لا تجد لابن خويان مدراً في أهفاله أحداثاً عاصراً ، وهي السنوات الأخيرة من الدولة لسعودية الثانية ، ثم بداية واتساع الدولة السعودية الثالثة على يد الممور له الملك عبد العزيز . ذلك أن وفاة ابن خويان في عام ١٣٥٣ هـ بعد أن استتببت الدولة واستقر الوضع السياسي والاجتماعي في البلاد ، وبعد أن بدأ قائد مسيرتها رحمه الله يرسي دعائم النهضة التعليمية والعمرانية والاجتماعية ، بعد أن هدأت الأحداث السياسية ، واستتب الأمن ، ووجد عند العزيز رحمه الله الجزيرة ، وقضى على الفتن .

ثانياً : التراجم وسواء رفع السحاب عن تراجم الأصحاب ، وهو كتاب يتخصص تراجم لطيفة معينة من ائمتها والمصنف هم الحافظ . وقد سار فيه المؤلف على طريقة السابقين في التحدث عن علماء كل طبقة .

وهذا الكتاب لا يزال مخطوطاً وهو مكون من جزأين إلا أنه لا يوجد حالياً منه إلا الجزء الاول . ولقد علمت بأن السعة كاملة وجزأها موجودة لدى إحدى الأسر الكريمة في حيرة قعيداً لو أخرجوا عنها خدمة للعلم واتماماً للمائدة .

يبتدئ الجزء الاول بترجمة الامام أحمد بن حنبل (١٦٦ - ٢٤١ هـ) والحافظ الدين توفوا في حياته ، ثم يستمر ابن خويان في ترجمة الحافظ مرتين حسب توافر وفاتهم الاول فالاول ، وينتهي هذا الجزء بترجمة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله [في الورقة ٧٤/ب ، ١/٧٥] .

تتوفر هذه السعة بمكتبة جامعة الرياض المركزية ، ودار الكتب المصرية حيث هي السعة التي رجعت اليها وتعمل هذا الرقم ح/٧٣٦٩ .

تقع السعة التي أطلعت عليها في ٧٥ ورقة . كل ورقة من صفحتين من القطع المتوسط ، وكتبت بالخط الأسود الدقيق في كل صفحة ٢٧ سطراً ، وبمعدل كلمات كل سطر (١٥) كلمة مرصوعة جداً . حتى أن الكاتب يضع في السطر الواحد بيوتين من الشعر على خلاف المؤلف في الخط والطباعة .

والعارفين للشيخ ابن ضويان يؤكدون أنه ترجم لعلماء الحنابلة حتى وقته هو ، مما يؤكد وجود جزء آخر لم يظهر للقراء وطالبي المعرفة بعدد ٠٠ ويبتدىء بعد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله مباشرة حتى عصر المؤلف .

ونتوقع أن ابن ضويان أراد بمؤلفه هذا انصاف علماء نجد وكلهم حنابلة ، حيث أن ابن حميد (١٢٣٢ - ١٢٩٥ هـ) في السحب الوابلة على شرائع الحنابلة [لا يزال مخطوطا وتوجد منه نسخ بجامعة الرياض ، ودار الكتب المصرية ، ومكتبة الحرم بمكة] ، قد هضمهم حقهم لشيء في نفسه ، ولم يترجم الا لثمانين عالما فقط من أصل ثمانمائة من الرجال و « ٣٨ » من النساء .

فجاء ابن ضويان ليضفي عليهم ما يستحقون ٠٠ ثم جاء بعده الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن السام ليترجم له « ٣٣٨ » عالما في كتابه علماء نجد خلال ستة قرون . وقد أضفى الناسخ - على طرقة كتاب ابن ضويان هذا - تعليقا بعد الدعاء للمؤلف بقوله : « تنبيه وأعلم أن الذي ذكر الشيخ كالأنموذج لتراجمهم ، أو كالتفهرس لثاقبهم ، لأنهم صنف فيهم الكتب الكبار ، بل الواحد منهم صنف فيه مصنفات غزار ، ولكن في هذا الزمان المقصود ذكر أسماءهم ومصنفاتهم ، ومن أراد التوسع فليرجع الى الكبار كطبقات الخلال ، وأبي يعلى ، وأبي الحسن ، والأصباري ، وابن الجوزي ، والقضواء ، وابن مفلح ، وابن رجب والمجمعي محمد بن عبد الباقي ، وابن عبد القوي ، وابن نعمة ، والعلمي له طبقتان ، ومحمد بن حميد المريضي ، وابن نصرالله أحمد ، عدة مجلدات ، ويوسف بن عبد الهادي ، وكلها مفردة في الحنابلة ، وأما ما في كتب التاريخ والرجال ، فلا يحصى ، وكذا كتب الطبقات التي لغير الحنابلة كإبن سهل ، ٠ وقد خلق عبدالله بن سام على كلمة المريضي بأنها نسبة الى غيب المريضي إحدى قرى القصيم ، وكان كثير من عشيرة ابن حميد في هذه القرية [طرقة رفع النقاب عن تراجم الأصحاب] .

ابن ضويان والدعوة السلفية :

أما ما قيل من الشيخ إبراهيم بن ضويان وعدم تحمسه لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، فقد نقل الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن بن سام رأيا لتلميذ ابن ضويان محمد بن عبد العزيز الرشيد معللا به قلة تلاميذ شيخه - حيث لم ينسب له من التلاميذ الا محمد هذا وابن الشيخ بن ضويان عبدالله - قائلا :

الا تعبير عن مكنونات نفسه ، ولم يكن في هذا الأثر ما يدل على عدم التحمس أو وجود عدم عقائدي بينهما ، بل على التقيض فإن عبارات ابن ضويان تجعل عرفانا كبيرا ، واحتراما لصاحب هذه الدعوة ، وتقديرا لمكانته العلمية ، وتوضيحا لصفاته الحميدة وما تنطوي عليه نفسه الخيرة ..

ثم أن هناك شاهد آخر على صدق هذا التقدير من ابن ضويان فقد ترحم عليه في مدونته التاريخية ، وأشاد بمكانته ، وأرخ لمولده ووفاته ووفاء بعض أولاده .

ولعل ما نسب إليه من أنه غير متحمس لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب جاء من :

١ - عدم موالاته لآل سليم أشهر علماء التصيم في ذلك الوقت وهم أهل المشورة في مثل المناصب القضائية في التصيم ، مع أنه ليس ممن قرأ على الشيخ محمد بن عبد الله بن سليم كما قال بذلك الشيخ عبد الله الينام وجعل ذلك سببا في عدم توليه القضاء [علماء نجد ١ : ١٤٢] .

٢ - ما ختم به ترجمة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في قوله : « ولا تفتخر بمن انتسب إليه - الضمير يعود للشيخ محمد - وفعل انتسب متكررة ونسبها إليه ، فلا ينسبها إلا صاحب هوى قاله لا يهجر عليه » [رفع النقاب ورقة ١/٧٥] .

فمفهوم هذه أنه لا يعني الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، ولكنه يعني أناسا غيره من المتأخرين ، وقد يكون ابن ضويان قصد أحدا بعينه ممن عاصره في وقته ولم يصرح باسمه ، وقد انعكس خلافه معه على سمعته العامة ، فغير عن ذلك بهذه الإشارة الموجزة ، وهذا ليس بغريب على العلماء وخلافاتهم في كل عصر وزمان .

وفي نظري أن الجزء الثاني من كتابه رفع النقاب لو كان بين أيدينا لالتصنا منه ما يشير أسباب الخلاف ، وتصدينا من بين أسطره ما يتم عن اسم أو أسماء أولئك الذين عناهم بأشارته هذه .

وخلاصة القول أنني أرى الشيخ أبراهيم بن ضويان مما نسب إليه بعدم تحمسه لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله لأن ما دونه في تاريخه ، وما سجله في ترجمته للشيخ محمد دليل قاطع على نفي هذه التهمة عنه .. ولا يصح انعكاس خلافه مع المتأخرين على رأيه في دعوة الشيخ .. اللهم إلا إذا اتضح ما يناقض هذا الموجود بين أيدينا .. فذلك ما لا نستطيع الجزم به .

د . محمد الشويخ

المصادر والهوامش

- ١ - الاعلام للزركلي ، الطبعة الثانية ١٩٧٤ هـ ١٩٥٥ م ، مطبعة كوستانتوناسي وشركاه .
- ٢ - تاريخ ابن منظور - تحقيق ونشر الدكتور عبد العزيز الطويطر ، الطبعة الاولى ، صام ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م ، مطابع مؤسسة الجزيرة - الرياض .
- ٣ - جامع الاسول في احاديث الرسول - ابن الاثير الجزري . الطبعة الاولى ، سنة ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م ، مطبعة السنة المصنعية بمصر - القاهرة .
- ٤ - رسالة في التاريخ - تأليف ابراهيم بن ضويان - مخطوطة .
- ٥ - وقع اللقب عن تراجم الاصعاب - تأليف ابراهيم بن ضويان - مخطوطة .
- ٦ - السحب الزاهلة على ضرائح الغنابلة تأليف محمد بن حديد - مخطوطة .
- ٧ - سمع وتراجم بعض علمائنا في القرن الرابع عشر للهجرة - تأليف عمر عبد الجبار - الطبعة الثانية عام ١٣٨٥ هـ - مؤسسة مكة للطباعة والاعلام .
- ٨ - مجلة العرب ، جزء ١٠ ، مجلد ٥ ، دورية تصدر بالرياض عن دار اليمامة .
- ٩ - مجلة العرب ، جزء ٦ ، سنة ١٢ ، دورية تصدر بالرياض عن دار اليمامة .
- ١٠ - مجلة العرب جزء ١٠٠٩ ، سنة ١٢ ، دورية تصدر بالرياض عن دار اليمامة .
- ١١ - مشاهير علماء نجد وضعهم - تأليف عبد الرحمن بن عبد اللطيف - الطبعة الثانية ، عام ١٣٩٤ هـ ، من منشورات دار اليمامة للطباعة بالرياض .
- ١٢ - علماء نجد في ستة قرون تأليف الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن اليمامي ، الطبعة الاولى ، عام ١٣٩٨ هـ ، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة بمكة .
- ١٣ - منار السبيل في شرح القليل ، تأليف ابراهيم بن ضويان ، الطبعة الاولى ، عام ١٣٧٨ هـ .
- ١٤ - عنوان النجد في تاريخ نجد - عثمان بن بشر - حققه وعلق عليه بعض الافاضل باسم من وزارة المعارف السعودية - مطبعة صادر بيروت ، عام ١٣٨٧ هـ .
- ١٥ - مجلة اليمامة ، العدد ٦٦٩ ، سنة ١٣٨٠ هـ - تصدر بالرياض عن مؤسسة اليمامة .